٢ ـ الشيوعية فى الإسلام

رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى

أوردنا فى المقال السابق ما أذاعته لجنة الفتوى بالأزهر عن « الشيوعية فى الإسلام » وما حكمت به على مذهب أبى ذر الغفارى من المخالفة للاجماع والخروج على مبدأ الإسلام ، ثم أوردنا فتوى السيد جمال الأفغانى عن « الاشتراكية فى الإسلام » ، وفى هذا المقال نورد ما قاله السيد عن مذهب أبى ذر وما أبدى من استحسان هذا المذهب . قال السيد رضوان الله عليه : « فى زمن قصير من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية فى الأمة تغيراً محسوساً . ولشد ما كان منها ظهوراً فى سير المال والأمراء وذوى القربى من الخليفة وأرباب الثروة بصورة صار يمكن بها الإحساس بوجود طبقة تدعى « أمراء » وطبقة تدعى « أشراف » ، وثالثة « أهل ثروة وثراء وبذخ » ، وانفصل عن تلك الطبقات طبقة المال وأبناء المجاهدين ، ومن كان على شاكلتهم من أرباب الحمية والسابقة فى تأسيس الملك الإسلامى وفتوحاته ، ونشر الدعوة ، وصار بموزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياة ، والذى أحدثته الحضارة الإسلامية ، إذ كانوا مع كل جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمنتمين إلى المال ورجال الدولة . وقد فشت العزة والأثرة والاستطالة ، وتوفرت مهيئات الترف فى حاشية الأمراء وأهل عصبيتهم ، وفى المال وبمن استعملوه وولوه من الأعمال .. فنتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثها وجود الطبقات المتميزة عن طبقة العاملين والمستضعفين فى المسلمين ، تكون طبقة أخذت تتحسس بشىء من الظلم وتتحفز للمطالبة بحقهم المكتسب من مورد النص ، ومن سيرتى الخليفة الأول والثانى أبى بكر وعمر كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة

الواضح .. ولكن أبيتن هذا علينا . حتى جاءت فتاة فكشفت عن أهم جزء من ذلك السر ، فغضبت أنت وثرت .. ولكنك لم تعرف كيف توجهين ثورتك ، مع أنها واضحة الهدف .

رأيت النقاش يطول فقلت :

— لقد والله ذكرتمونى بالمستمعين إلى شاعر الربابة ، حين كانوا ينصبون المعركة قبل أن يعرفوا النهاية .. انتظروا قليلاً حتى تكمل القصة .

وكملت القصة خريفاً وكانت قد ابتدأت ربيعاً . هكذا كملت حقيقة ، أما على صفحات الرسالة فقد كملت أمس . فذهبت إلى هناك ، فإذا الشيخ ضاحك ، وإذا الفتاة جذلة ، وإذا الشاب يكفكف من فرح الشيخ ، ويخفف من سرور الفتاة .. قال الشيخ :

— ألم أقل لكم إن الزيات لا يمكن أن يكتب فى الحب لمجرد الحب .. لقد صدق ظنى فيه . إن القصة نصيحة مبذولة للفتيات من رجل خبر الدنيا وجربها .. وأبى أن يقصر تجاربها على نفسه . ألم تر إليه يقص قصة بلانكيت والخراف ثم الذئب ورواية الفتاة والشبان ثم الذئب أيضاً . إنها نصيحة أحسن تغليفها حتى تخف على السمع وتصل إلى القلب .

قالت الفتاة :

— لقد نالت تلك الفتاة جزاءها .. ولئن كشفت عن أسرار جنسها فإن أخاها قد أخذ بالثأر ؛ وما أظن مآلها إلا الموت المحقق

قال الشاب : « رويدك يا أبى ! وحسبك يا زوجتى ! فإن الرجل وإن ختم قصته بالنصيحة ، فما ذاك بمانع القصة أن تهدف إلى أهدافها الأخرى . فهى قبل أن تكون إرشاداً ، وهى تحليل نفسى قبل أن تكون هديا .. أما أنت فما هذا الكلام الغريب ؟ تعزين نفسك بأن البنت قد نالت جزاءها ، فهل ذلك هو الرد على حقيقة ما قالته عنكن ! لشد ما تهرفن أيتها النسوة حين تفحمكن الحجة . حاول الشيخ أن يجيب ، وحاولت الفتاة أن تغضب ، ولكننى قطعت عليهما القول والغضب :

— إن القصة حلوة ومرة ؛ يستطيع كل منكم أن يلتذ هذه الحلاوة وأن يكابد تلك المرارة . لينظر كل إليها من الناحية التى ترضيه . ولئن اختلفت هذه النواحى فإن ثمة زاوية لو نظرتم منها جميعاً ما اختلفتم : القصة قصة الفن ، والأسلوب أسلوب الزيات !

تروت أباظة

الإسلامية ، الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ، فجاء إلى معاوية ابن أبي سفيان وهو في الشام ، وخاطبه بوجوب الرجوع إلى سيرة السلف وبتقليل دواعي السرف والترف وعدم التمادي في مسببات الحسد ، والعمل على نزعها من العاملين من رجال المسلمين ، وذكر مواعظ كثيرة ، وعدد أخطاراً جمة من وجود طبقة فقيرة عاملة مفكرة في المسلمين ، يكتنفها شظف العيش وقلة ذات اليد بين ظهراني قوم أكثرهم ممن لا سابقة لهم في الإسلام ولا لآبائهم ، ولا من الطبقات المحمودة ، ولا من المجهودات أو المميزات العلمية والجسدية ، ما يوليهم أو يعطيهم حق ما هم فيه من النعيم ، وطيب العيش والرخاء ، غير محض الانتماء والأدلاء بولاء لآل حرب وعمالهم .

فأجابه معاوية بما معناه : يا أبا ذر ، إن ما تقوله هو الحق ، ولكني ليس في استطاعتي الرجوع لا إلى سيرة الصديق وسيره ، ولا إلى العمل الذي كان يعمله الفاروق ، وغاية ما في إمكاني الحث على بذل الصدقات والقول اللين إرشاداً لتخفيف دواعي الحسد ، وغير ذلك فلا سبيل إليه .

قال أبو ذر : قد نصحتك يا معاوية ، والدين النصيحة ، فاحذر أنت والخليفة عثمان مغبة ما أنتما عليه . وذهب من مجلس معاوية مغاضباً ، واجتمع مع طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين وقص عليهم من سيرة السلف أشياء ، وأطلعهم على ما قاله عامل الشام معاوية بن أبي سفيان ، وأردفها بإعلانه مشاركته لهم في كل ما يحسون به قلباً وقالباً . وبمختصر القول أنه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه جماعة بغير وجه شرعي ، ولا باجتهاد إمام سلف ، فكان من وراء عمل أبي ذر هذا أن حصل شيء من التهييج والانفعال النفسي ما خشي معه معاوية وأعوانه سوء المصير .

فجمع معاوية كيده ، واستنجد دهاءه ، وبعث لأبي ذر ليلا بألف دينار ، فقبلها أبو ذر ، وفي الحال بادر لتفريقها على الفقراء والمعوزين من المسلمين . وفي ثاني يوم أرسل معاوية رسولاً وقال : يا أبا ذر ، أنقذني من عذاب معاوية ، فإن الألف دينار لم يرسلها إليك وإنما غلطت ، فقال أبو ذر ، والله لم يبق مني من دنانيره ولا دينار ، فليعمها لي حتى آخذها ممن وزنتها عليهم من المستحقين في المسلمين . وعلم معاوية صدقه وضاق به ذرعاً ، فكتب إلى الخليفة عثمان مستجيراً من التأثير أبي ذر ، وما أحدثه من التأثير في النفوس . فأجابه متعجلا إرسال أبي ذر إليه ، فأرسله ، ولما تقابل مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية ، وأنه لا يمكنه أن يعمل ما فعله الفاروق مع العمال من مصادرة ما عندهم من الثروة ، ولا أن يرجع ما كان من حالة تجوع المسلمين في عهدي الصديق والفاروق إلا عن طريق الحث على بذل الصدقات والأحسان فقط . فقال أبو ذر : يا عثمان ، أما تذكر حديث رسول الله ومعناه : « إذا وصل البناء إلى سلع (جبل في المدينة) واستعلى في المدينة . . الحديث » وجبت الهجرة . وفي رواية أنه قال : يا عثمان : إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، وها قد استعلى بناؤك وبناء قريبك معاوية وأعوانكما . فأستودعك الله تاركا لك ولمن استعملت من العمال أعمالكم ، والله من ورائكم محيط . فألح عثمان عليه أن لا يفعل ، فقال أبو ذر : إن رسول الله أولى أن يتبع ، وهاجر من المدينة .

كان في عمل أبي ذر هذا أنه قد أخذ بمحض النصح للخليفة والمسلمين إذ ذاك « عثمان » وبنصح عماله ، وبالدفاع عن حقوق المسلمين كي لا تتكون طبقة اشتراكية يكون رائدها الانتقام ، بل دعاهم إلى العمل بنص القرآن والاقتداء بمن طبق ذلك النص عملا من الخلفاء كأبي بكر وعمر . . »

* * *

وبعد ، فهذه هي فتوى السيد جمال الدين الأفغاني فيما كان من رأي أبي ذر الغفاري وخلافه مع ولاة الأمور على توزيع المال في الإسلام ، ورد مال المسلمين على المسلمين . وشتان بين رأي لجنة الفتوى في مذهب ذلك الصحابي الجليل ، ورأي السيد الأفغاني ؛ فبينما ترى اللجنة أنه أخطأ الاجتهاد وخالف الأجماع يشهد الأفغاني برجاحة رأيه وسلامة مذهبه . وسنعود في المقال التالي للتعقيب على فتوى اللجنة بما يوضح هذه المسألة التي تشغل الأذهان في هذه الأيام . . .

« الجامعة »